على ذكر الحرب الأهلية فى اسبانيا

نهضة العلوم الطبية

فى اسبانيا العربية وتاثيرها فى اوربا

للدكتور زكى على

من بين الكتب التى ظهرت أخيراً عن الحرب الأهلية المروعة القائمة فى اسبانيا الآن كتاب « الثورة فى أسبانيا » قال فيه مؤلفاه هارى جانس وتيودور رابارد فى معرض الكلام عن ماضى اسبانيا : « إن طرد العرب من اسبانيا كان كارثة على مدنيتها وقد كان الباعث عليه التعصب للروح الاقطاعية السائدة فى أوربا والرغبة فى تقويض دعائم الثقافة العربية وتأثيرها »

وقد أعادت الحرب الحاضرة فى أسبانيا ذكريات تاريخها الماضى وكيف كان عهد العرب أزهى عصورها ، وكثيراً ما أشارت صحف أوربا إلى ذلك الماضى إما بالمقالات أو بالصور . وأذكر أنى رأيت صورتين رمزيتين تبعثان فى النفس مزيد الاعتبار إحداهما فى صحيفة أمريكية تمثل « عودة العرب » والأخرى على غلاف مجلة سويسرية مصورة تمثل « العرب على أبواب مدريد » إشارة إلى انتظام فرق من عرب المغرب الاسبانى فى سلك جيش الجنرال فرانكو لفتح اسبانيا ، ولكن شتان بين الفتحين . وما أعظم الفرق بين العهدين . ولست بصدد الكلام عن تاريخ الفتوحات والحروب وإنما أحببت اتخاذ الأحوال الحاضرة وسيلة للتذكير بما كانت عليه أسبانيا من النهضة على عهد العرب قاصراً الكلام على العلوم الطبية وما كان لها من تأثير ونفوذ فى الحركة الفكرية فى أوربا فى ذلك الحين وهى التى صارت أساس نهضتها فيما بعد .

كان لمالق نجم الثقافة العربية فى سماء اسبانيا على أثر الفتح الاسلامى أعظم الأثر فى نهضة العلوم الطبية لا فى اسبانيا وحدها بل فى أوربا باجمعها . وكان لما أولاه الخلفاء العلوم والفنون من العناية والتشجيع فضل كبير فى ازدهار الحركة الفكرية والنشاط العقلى وانبعاث أضواء الحضارة العربية لتسرى فى سائر أنحاء أوروبا، وسرعان ما أصبحت اسبانيا أسطع درة فى سلسلة الثقافة العربية الممتدة من ربوع الهند إلى أقصى غرب أوربا ، وعن طريق هذه الحلقات المتصلة من مدنية الاسلام تدفقت الكنوز الضخمة من علوم الأقدمين التى كانت نسياً منسياً قبل أن يبعثها العرب ويضيفوا إليها كنوزاً غنية جديدة بفضل عبقريتهم وأثر الاسلام فى حضهم على البحث وحثهم على الكشف والدرس والتحصيل

وما أتى القرن العاشر للميلاد حتى كان العرب قد أحضروا إلى أسبانيا مجموعة ضخمة من التآليف العلمية والطبية الاغريقية والعربية ، ووضعوا بذلك أساس الحركة الفكرية التى دامت فى عصرها الذهبى من القرن العاشر، إلى الثالث العشر ، وجعلت اسبانيا فى ذلك الحين ، المركز الوحيد الذى يشع على أوروبا النور والعرفان ، والذى سرت منه الثقافة العربية ، حتى صارت ملموسة الأثر فى سائر أنحاء الغرب

ونبغ فى هذه الحركة طائفة كبيرة من علماء العرب وشخصياتهم الطبية البارزة ، وكان لأعمالهم وتواليفهم أثر مباشر فى نهضة العلوم الطبية لاسيما أن الخلفاء أكثروا من تشييد المستشفيات ، وكانوا يلحقون بها المدارس الطبية ومدارس الصيدلة والمكاتب العلمية .

وقبل أن نخص بالذكر هنا أشهر البارزين فى هذه النهضة نشير إلى مايدل على مبلغ حضارة أسبانيا وازدهارها تحت حكم العرب ، فنذكر أنه فى القرن العاشر بلغ عدد سكان قرطبة أكثر من ثلاثمائة نفس ، وكان بها خمسون مستشفى وتسعمائة حمام وثمانمائة مدرسة وستمائة مسجد ومكتبة ضخمة تحوى ستمائة ألف مجلد وسبعون مكتبة خاصة. وإذا ما أشرنا فى هذا المقام إلى جامع قرطبة الشهير ، الذى يعتبر من ايات الفن ـ لا فى العصر الاسلامى وحده بل فى كل العصور ـ فإننا نذكر الكلمة الشهيرة التى وجهها شارل الخامس سنة ١٥٢٦ إلى مجلس الكاتدرائية الكاثوليكية توبيخا لهم على تشييد الكنيسة فى قلب الجامع العظيم ، إذ قال لهم : « قد بنيتم هنا ما تستطيعون ، وكل واحد سواكم ـ يتساءل فى جهة أخرى ولكنكم خربتم ما كان فريدا فى العالم كله »

وفى صدد الحضارة العربية أيضا يقول الطبيب المؤرخ الأمريكى فكتور روبنصن صاحب « قصة الطب » : « كانت أوروبا فى ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة ، كانت أوروبا قذرة ، بينما قرطبة شيدت ألف حمام ؛ كانت أوروبا تغطيها الهوام بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة ؛ كانت أوروبا غارقة فى الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع ؛ كانت سقوف القصور فى أوروبا مملوءة بثقوب المداخن ، بينما قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة ؛ كان أشراف أوروبا لا يستطيعون إمضاء أسمائهم بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس ؛ كان رهبان أوربا يلحنون فى تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة

قد أسسوا مكتبة تضارع فى ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة . ،

والآن نعود لنذكرين متقدمى المشاهير فى النهضة الطبية ابن الوافد الذى اشتهر فى أوربا باسم Abru Gue Fit (٩٩٧ - ١٠٧٤) وكان طبيباً بمستشفى طليطلة وامتاز بانه وضع أساس طريقة عقلية للعلاج مرتكزة على النظم الغذائية . وكان أشهر مؤلفاته كتاب الأدوية البسيطة De Medicamentis Simpzicibus طبع هذا الكتاب بعد ترجمته إلى اللاتينية أكثر من خمسين مرة . ثم هناك أبرز شخصية فى النهضة الطبية العربية وفخر الجراحة العربية أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى الذى عرفته أوروبا باسم Albucasis (١٠١٣ - ١١٠٦) وإليه يرجع الفضل فى النهوض بمهنة الجراحة إلى المركز اللائق بها وكانت قبله قدانحطت إلى الحضيض ولكن سرعان مابلغت الجراحة على يد أبى القاسم الزهراوى أعلى مراتبها فى ذلك العصر فانه ألف فى الطب النظرى والعملى كتابه الشهير « التصريف لمن عجز عن التأليف » وبه قسم خاص بالجراحة يقع فى ثلاثة كتب استوفى فيها أبو القاسم علوم الجراحة وعملياتها وبين آلاتها بالصور فكان تأليفه هذا أول كتاب موضح بالصور والأشكال فى الجراحة . ولا أجد فى هذا المقام قولا أدل على مكانة الزهراوى من قول الأستاذ الشهير فورج Forgue من أعظم الجراحين الفرنسيين فى الوقت الحاضر إذ كتب عنه منذ سنوات : « يعتبر الزهراوى بلا شك أعظم شخصية فى الجراحة العربية ، وهو الحجة التى كان يلجأ إليها كافة مؤلفى الجراحة فى العصور الوسطى مع أعظم الاحترام . وقد ولد فى الزهراء (من ضواحى قرطبة) التى كانت فرسای خلفاء بنى أمية فى الأندلس . ويستحق كتابه فى « الجراحة » أن يبقى فى تاريخنا كأول تأليف فى الجراحة على أنها علم مستقل مؤسس على قواعد التشريح . وصار كتابه فيما بعد مرشد الجراحين منذ ترجمه إلى اللاتينية حوالى وسط القرن الثانى عشر جيرار دى كريمونا . ومما يبرهن على أن الزهراوى كان الثقة والعمدة فى الجراحة والمشار اليه فى علومها أن سلفنا العظيم جى دى شولياك جراح مونبليه استشهد بأبى القاسم فى مؤلفاته نحو مائتى مرة !

« ولا مراء فى أن الجراحة العربية فى ذلك الحين تقدمت تقدماً عظيما فى الغرب . ويكفى أن نذكر أنه فى أواخر القرن الثالث عشر لما قدم الجراح لا نفرانك من إيطاليا ودرس مؤلفات أبى القاسم أصدر رأيه فى جراحى باريس لذلك العهد بقوله : « يقومون بالعمليات الجراحية مع درجة من الجهل يكاد لا يوجد معها شخص واحد منهم يمكن أن يعد جراحاً حقيقياً ! وقد كان أبو القاسم أول من كتب فى علاج الأقواس الضرسية (فى طب الأسنان) وتشوهات الفم ، وأول من ربط الشرايين قبل امبرواز پاريه الفرنسى . وقد وصف عمليات تفتت حصاة المثانة وعملية استخراجها بالشق ، وتكلم عن مسألة التقيح ووصف الوضع المعروف باسم « وضع والحز » فى التوليد ، والشلل عقب كسر السلسلة الفقرية ، وتكلم بدقة عن إزالة الأجسام الغريبة من الأذن ، وأجرى عملية فتح قصبة الرئة Trachéo tomie ، وعالج الخراجات الكبيرة - بشقها وتفريغها تدريجاً ، واستعمل محلول الملح فى علاج الجروح ، ووصف علاج الناسور بالكى . وهو أول من استعمل « السنارة » فى استخراج الورم المسمى « يوليبوس » وتكلم فى موضوع الولادة عن مجىء الجنين فى الأوضاع غير المنتظمة ، وعن التوليد بالآلات . وهو أول من أدخل استعمال الحرير وأوتار العود بهيئة خيوط للربط فى العمليات الجراحية ، وتكلم أيضا عن وقف النزف بالكى ، وقد بقى كتاب أبى القاسم فى « الجراحة » أساس التعليم الجراحى ومزاولة مهنة الجراحة فى أوربا عدة قرون ، ونشرت ترجمته فى فينا سنة ١٤٩٧ ؛ وفى سنة ١٥٠٠ كان المعول عليه فى تعليم الجراحة فى مدرسة البندقية بايطاليا ، وطبع أيضاً فى « بال » بسويسرا سنة ١٥٤١

وأما أشهر أطباء العرب الاكلينكيين فى الأندلس فهو محمد بن مروان بن زهر الاشبيلى وعرف فى أوربا باسم Avenzoar (توفى سنة ١١٦٢) وهو ينحدر من عائلة عربية عريقة أنجبت كثيراً من الأطباء وذاعت شهرته الطبية فى جميع الأنحاء . وهو أول من ثار على طريقة جالينوس وابتكر طرقا جديدة تدل على عبقريته ؛ وأهم كتبه « التيسير » وفيه وصف شامل لأمراض عديدة . وكان ابن زهر أول من وصف التهاب التامور المصلى وخراج المنصف الصدرى وشلل البلعوم والتهاب الأذن الوسطى . ووصف لبن الماعز فى الدرن ، ويعتبر أيضاً أول عالم بالطفيليات لأنه أول من أتقن وصف حيوان الجرب .

وأما أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد (Averroes) القرطبى (١١٢٦ - ١١٩٨) الطبيب الفيلسوف العظيم فمع أنه بلغ ذروة الشهرة كفيلسوف الاسلام وشارح أرسطو فقد كان له أيضاً فضل لاينكر فى تقدم العلوم الطبية ؛ وهو الذى هز بناء التعاليم الجالينية من أساسها ، وزعزع نظرية صفة الأدوية الكثيرة Polypharmacie فى التذاكر الطبية ، وهو أول من أشار إشارة علمية إلى الدورة الدموية فى كتابه « الكليات » فسبق بذلك وليام هارفى . ومن أعظم الشخصيات الأندلسية فى القرن الثانى عشر الفيلسوف الطبيب الاسرائيلى موسى بن ميمون (Maimonides) الذى صار فيما بعد طبيباً خاصاً لسلطان صلاح الدين ، وله مؤلفات

عديدة فى الفلسفة والطب ترجمت من العربية إلى اللاتينية ومنها كتابه فى « السموم والتحرز من الأدوية القتالة » وكتاب «البواسير» (وترى هنا صفحة من هذا الكتاب الأخير عن نسخة خطية نقلت عن الأصل الذى كتبه ابن ميمون بيده) وكتابا « الوصايا » فى التغذيه وقانون الصحة و « بيان الأعراض » و « مقالة فى الربو » الخ

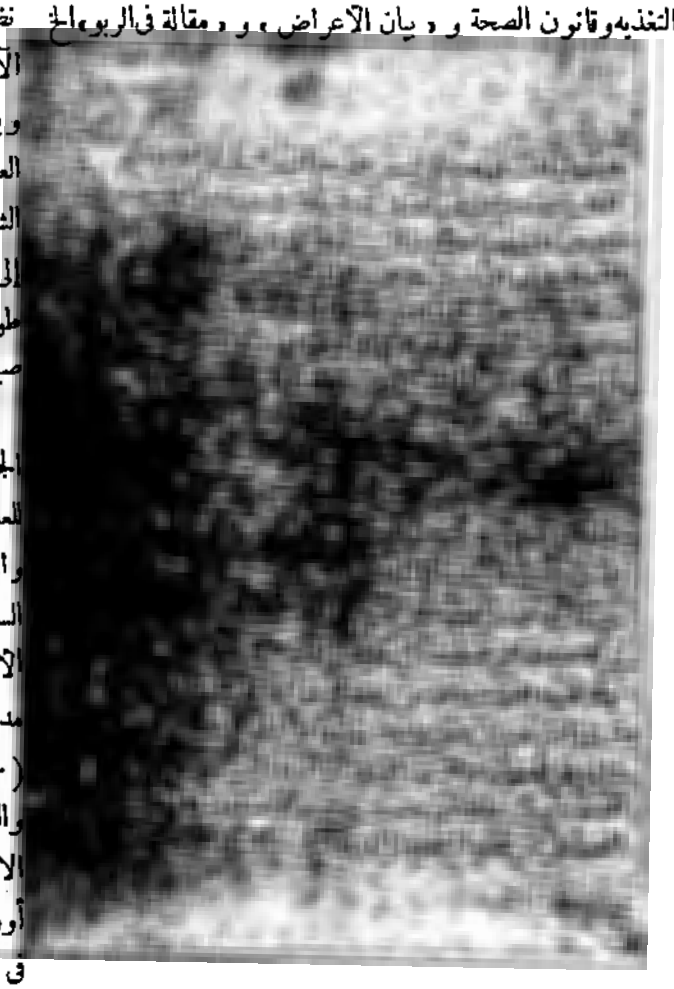

ويمتاز ذلك العصر بازدهار فن الصيدلة ايضاً وظهور التواليف العديدة فيه . واسم « ابن البيطار » أشهر من أن يذكر ، وقد ولد أبو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار فى « مالقة » وصار أوحد زمانه فى علم النبات وأتقن دراية كتاب « ديسقوريدس » الاغريقى اتقانا بالغاً وكان حجة لا يبارى فى علوم الأدوية المفردة والحشائش ، وأهم كتبه « الجامع فى الأدوية المفردة » وهو فريد فى بابه إذ يشتمل على وصف دقيق لأكثر من ألف واربعمائة عقار كان جزء كبير منها جديداً فى ذلك الوقت ، وصار هذا الكتاب فى الواقع المرجع الأساسى فى أوروبا للمادة الطبية وعلوم الأغذية .

أما كتب الأدوية المركبة فكانت تسمى الأقرباذين (ماخوذة عن اليونانية) وهو اسم حرف فيما بعد فى المحفوظات اللاتينية المترجمة عن العربية إلى كلمة Grabadin والعرب هم أول من وضع دساتير الأدوية المعروفة الآن باسم « فارماكوبيا » وعنهم أخذتها أوروبا كما أخذت عنهم عادة وضع الأوانى الزجاجية الكبيرة المحتوية على السوائل الملونة عند مدخل الصيدليات وكان نظام الصيدلة عند العرب يقضى بالتمييز بين مخازن العقاقير (ويقابله الآن Droguerie) لبيع العقاقير البسيطة بحسب تعريفة محددة وبين الصيدليات (الأجزاخات) (Pharmacie) لصرف العقاقير المركبة والنذاكر الطبية وكانت كلها موضوعة تحت الرقابة الشديدة بمقتضى القانون . وقد أدخل فردريك الثانى هذا النظام إلى أوروبا وأصدر سنة ١٢٣٣ قانوناً بقى نافذ المفعول زماناً طويلا فى صقلية ، كان يكلف الطبيب بمقتضاه أن يبلغ عن أى صيدلانى (صيدلى) يثبت له أنه يبيع أدوية فاسدة

وقد أخذت أوروبا عن العرب استعمال كثير من الأدوية الجديدة ذات المفعول اللطيف والتى أدخلها العرب فى المادة الطبية للعلاج مثل السنا المكى والراوند والتمر الهندى والمسك والقشية Cassia والمسن والكافور وجوز الطيب والقرنفل والزعفران والشمر وعرق السوس . وعن العرب أيضاً أخذت أوروبا طريقة طلاء حبوب الأدوية بالورق المذهب أو المفضض وتقطير ماء الورد ، كما أن أوروبا مدينة للعرب بإدخال الجوز المقيىء فى القرن الحادى عشر والأكونيت (خانق الذئب) وشرح تأثير الإرجوت (الجويدار) والحنظل والقنب الهندى والعنبر . وكان دستور الأدوية (الفارماكوبيا الاسلامية) فى اسبانيا يحتوى على أكثر من مائتى نبات جديد لم تعرفها أوروبا من قبل . ولا يزال كثير من الكلمات العربية الأصل مستعملة فى الصيدلة إلى اليوم منها الكحول والشراب والقلى Alkali والنفط Naphtha والبازهر (بزهير) be zoar والجلاب jalap .

ثم كان من مفاخر المدنية الاسلامية إنشاء المستشفيات فى معظم المدن الكبيرة مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة وبلنسية ومرسية والمرية ومالقة وغيرها ، وكان نظام هذه المستشفيات وإدارتها وتجهيزها تجهيزاً وافياً على نسق لم تعرفه أوروبا فى ذلك العهد . وفضلا عن أن هذه المستشفيات كانت مراكز لعلاج الأمراض فقد كانت أيضاً معاهد للتعليم الاكلينيكى وأكاديميات للمعارف الطبية ، وكانت مجهزة بمكاتب طبية نفيسة . ويعزى إلى العرب أيضا الفضل الأول فى إيجاد المستشفيات الخاصة بذوى الأمراض العقلية ومن أهم تلك المستشفيات ما أنشأوه فى بلنسية ، وقد شهد جميع مؤرخى الطب بأن للعرب فخر معاملة هؤلاء المرضى بالرفق والشفقة والانسانية بينما كان « المجانين » فى أوروبا يعاملون إذ ذاك كالمجرمين يعذبون

ويضطهدون . وقد أعاد جوان جيلابرت جوفريه بناء مستشفى بلنسية للأمراض العقلية عام ١٤١٠

كذلك لما أرادفيليب الثانى عام ١٥٦٦ أن يعيد تنظيم المستشفيات في مجريط (مدريد) أقام على أنقاض معهد سان لازاروا (وكان في الأصل مستشفى أسسه المسلمون) مستشفى جديداً باسم سان جوان دى ديوس ، وضم اليه مستشفى دى لا باز للأمراض المعدية ولذوى العاهات .

وقد أظهر أطباء العرب فى اسبانيا فى فهم الأوبئة والعدوى مقدرة وذكاء منقطعى النظير بين كافة أطباء أوروبا فى العصر القديم والعصور الوسطى ، يدلك على ذلك أنهم بحثوا منشأ الأوبئة وانتشارها بالعدوى . وقد ألف الطبيب الشهير ابن الخطيب من غرناطة (١٣١٣ - ١٣٧٤) كتاباً نفيساً عن (الطاعون) وصف فيه الطاعون الذى حل بأوروبا فى القرن الرابع عشر وذكر فيه أن وجود العدوى تثبته التجربة ثم البحث ودليل الحواس ثم الرواية الموثوق بها عن انتقال المرض بالملابس والأوعية والحلى (كالقرط فى الأذن) ومن شخص لآخر فى المنزل الواحد وباصابة ميناء سليم بوصول أناس مرضى من أرض موبوءة . . . ،

وكذلك كتب « ابن خاتمة » (توفى ١٣٦٩) كتابا عن الطاعون الذى فتك بالمرية فى اسبانيا فى سنتى ١٣٤٨ و١٣٤٩ ، وهذا الكتاب يفوق فى دقته كل ما كتب فى أوروبا عن الطواعين من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر .

ولا يتسع المقام هنا للاسهاب فى ذكر سائر النوابغ من أطباء العرب فى ذلك العصر . وإنما ننوه بأنه كان من أهم عوامل بث العلوم الطبية العربية ونشرها فى أوروبا إنشاء مدارس الترجمة التى كانت أهمها مدرسة طليطلة التى شيدها فى سنة ١١٣٠ الأسقف ريموند وازدهرت حتى القرن الثالث عشر .

وكانت جامعات العرب فى اسبانيا إذ ذاك قبلة أنظار طلاب العلم من كافة أنحاء أوروبا فكانوا يفدون اليها من كل حدب وصوب لينكبوا على دراسة العلوم العربية وترجمتها ثم نقلها إلى بلادهم فظل النفوذ العربى سائداً فى الغرب قروناً عديدة وظلت تآليف الأطباء العرب مدة خمسمائة سنة برنامجا لدراسة الطب فى أوروبا .

ومما يدلك على مدى سريان النفوذ العربى وهيمنته على النهضة الطبية فى أوروبا أن الطبيب الشهير بطرس ألفونسو (ولد سنة ١٠٦٢) بعد أن أتقن الطب فى مدارس العرب فى اسبانيا قدم إلى انجلترا ليكون طبيباً خاصاً للملك هنرى الأول واشترك مع (والحز وبرايور أوف ما لفرن) فى وضع كتاب فى الفلك اعتمد فيه على المصادر العربية ، وكانت جهود هؤلاء الثلاثة بمثابة أول أثر للعلوم العربية فى انجلترا ثم لم ينقض بعد ذلك وقت طويل حتى امتاز أديلارد أوف بات بكونه أول عالم أوربى كبير حضر إلى طليطلة للتخصص فى العلوم العربية ، فاتصلت بذلك الحلقة الثقافية بين اسبانيا العربية وانجلترا . ومن ثم ازداد اهتمام العلماء فى انجلترا بعلوم العرب وتفوق من بينهم ميشيل سكوت (١١٧٥ - ١٢٣٢) وروجر باكون (١٢١٤ - ١٢٩٤)

فأما سكوت فكان طبيبا وفيلسوفا ومتضلعا فى العربية ، وبعد أن درس فى اكسفورد وباريس انتقل إلى بالرمو وبولونيا بايطاليا ، ومن هناك واصل سفره فى طلب العلم إلى طليطلة ليروى ظمأه من ينابيع حكمة العرب وعلومهم وفلسفتهم ، واشتهر فيما بعد بتآليفه الكثيرة فى الكيمياء والفلك والطب وكان أكثر اعتماده على المصادر العربية .

وأما روجر باكون فقد اشتهر فى اكسفورد بكونه شارح الفلسفة العربية والارسطوطية وألف فى علم البصريات كتابا نقل فيه عن كتب الخازن ، وهناك فى مكتبة مجلس كاتدرائية كانتربورى نسخة خطية مزخرفة من أواخر القرن الثالث عشر تسمى Vetus togica هى أقدم تفسير معروف لكتاب ارسطو فى المنطق ظهر فى انجلترا على أثر احياء العرب لفلسفة ارسطو ، وهى تحمل اسم جون دى لندن الذى أخذ عن روجر باكون العلوم العربية .

ويرجع إلى العرب ايضا فضل المحافظة على تراث الطب الاغريقى القديم وهناك حقيقة ذات أهمية قصوى فى هذا الصدد وهى أن سبعة كتب من « تشريح جالينوس » وصلت أوربا عن طريق ترجمتها العربية أما أصولها الاغريقية فكانت قد فقدت .

وكان أشهر المترجمين للعلوم الطبية من العربية إلى اللاتينية « جيرار دى كريمونا » ١١١٤ - ١١٨٧ الذى اشتغل فى مدرسة طليطلة معظم حياته وأتم فى العشرين السنة الأخيرة منها ثمانين ترجمة بعضها فى غاية الأهمية ، ومنها كتاب الجراحة لأبى القاسم الزهراوى وقانون ابن سينا ، وكتاب المنصورى للرازى ، وبعض أجزاء « الحاوى » .

ومن أعظم المترجمين والمفكرين من الأوروبيين فى العصور الوسطى جربرت دى أوريلاك (٩٣٠ - ١٠٠٣) الذى صار فيما بعد البابا سلفستر الثانى فانه عبر جبال البرانس وأتى إلى طليطلة لتحصيل علوم المسلمين ونقلها إلى أوروبا القوطية ، ثم إنه عاد إلى فرنسا وأذاع علوم العرب فى مدينة (ريمس) ثم نقل تلك العلوم إلى أنحاء فرنسا وألمانيا وإيطاليا ، ويعتبر أحد واضعى أساس النهضة العلمية والأدبية والدينية فى أوروبا فى القرن الحادى عشر ويقال إنه الذى أدخل إلى أوروبا الأرقام العربية .

ومن بين مشاهير الذين حضروا من انجلترا إلى طليطلة روبرت

أوف إنجلاند ، (عاش حوالى ١١٤٣) وهو أول من ترجم القرآن ثم دانيل مورلى (١١٧٠)

وكان ارنولد دى فيلا نوفا (١٢٣٥ — ١٣١٣) آخر العلماء الاسبان الذين كان لهم نصيب وافر من ترجمة مؤلفات العرب الطبية إلى لغات الغرب ، وقد صار فيما بعد طبيباخاصا لبطرس الثالث ملك أرغون ، ودرس الطب فى جامعة مونبلييه ونقل عن العرب استعمال الصبغات فى الأدوية ، وأدخلها فى دساتير الأدوية الأوربية ، كما أنه ترجم كتاب ابن سينا عن القلب

وقدأنارالعرب لأوربا سبيل الدراسة المبنية على التجربة والمشاهدة ويقول مؤرخ مونبلييه الشهير جرمان (الفرنسى) إن بقاء مؤلفات الأطباء العرب فى برنامج الدراسة الطبية فى مونبلييه حتى ختام القرن السادس عشر خير شاهد على صفات الايضاح والتنوير وعلى الطريقة التعليمية التهذيبية التى امتاز بها الكتاب العلميون فى الأمة العربية ،

وتوجد فى سجلات كلية الطب بباريس قائمة جرد للكتب الطبية بها فى سنة ١٣٩٥ تحتوى على اثنى عشر مجلدا كلها مؤلفات لأطباء العرب .

وكان لويس الحادى عشر دائم القلق على صحته ولهذا كان حريصاً على أن تكون فى مكتبته كتب « الرازى » الطبيب العربى الأشهر ولم يكن منها إذ ذاك فى مكتبة مدرسة الطب بباريس سوى نسخة واحدة فاستعارها الملك بشرط أن يردها وقد فعل !

وأرى فى ختام هذا البحث أن أذكر كلمة المؤرخ « لبرى » : « لولم يظهر العرب فى التاريخ لتأخرت نهضة العلوم والفنون (الرينسانس) فى اوروبا قروناً عديدة » .

(جنيف) زكى على

فى أصول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد فى نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة فى الأدب العربى وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة فى الأدب ، أثر الحضارة العربية فى العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب فى هذا الموضوع إلى اليوم . وقواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ .

يطلب من ادارة مجلة الرسالة وثمنه ١٢ قرشاً

الفـــداء

للأستاذ أمجد الطرابلسى

« فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على إبراهيم »

قرآن كريم

شعٌّ من بَسمةِ الصباحِ الضّياءُ ... وأفاقتْ منْ نومها البطحاءُ

وتعرتْ كثبانُها والرَّوابى ... وتغطّتْ هضابُها السَّمراء

وتبدّتْ ذُكاءُ فانتفضَ الرَّمْـ ... ـلُ ابتهاجاً لمّا تبدّتْ ذُكاء

وشَتِ الأرضَ بالظلالِ فنونًا ... هىَ للطّرْفِ والنهَى إغواء

فمن الشمسِ والرمالِ نُضارٌ ... ومن الظلِّ واحَةٌ غنّاء

السهوبُ الفِساحُ ، والأفقُ الزّا ... هى ، وتلكَ الغمائمُ الشّقراء

والخِضَمُّ المَوّاجُ بالماسِ والتبـ ... ـرِ المصفّى والقبّةُ الزرقاء

والبطاحُ الغرّ قى ، وسِلسِلةُ الكثـ ... ـبانِ ، والرّمْلُ ، والحصَى ، والسّناء

صورةٌ تغمرُ العيونَ وسِحْرٌ ... عبقريٌّ ، ومُتعةٌ ، ورُواء

وَحشةٌ ملؤها الجمالُ وصمتٌ ... خاشعٌ لاتشينُهُ ضوْضاء

أيها الشاعرُ آتئدْ ! هل تؤدى ... ماتؤدّي الطبيعة الخرساءُ ؟

إنّ صمتَ الرّمال عودٌ ومِزمارٌ ... ونأىٌ ومِزهرٌ وحُداء

نَغَمٌ يُفعِمُ السامِعَ سِحْراً ، ... وغناء ، هيهاتِ منه الغناءُ !

* * *

مَنْ هوَ السالكُ القفارَ وئيداً ... للأسى فى جبينه سيماء ؟

كاسفَ البالِ ليس يَبْهرُهُ الحســـنُ ، ولا يستبيه ذاكَ البهاء

مطرقاً رأسهُ الصديعَ تبدّى ... فى أساريرِ وجههِ البأساء

وإلى جنبهِ ابنهُ حائرَ اللبّـ ... ـم تَنَزّى فى صدرهِ الأهواء

يتأسّى خُطَى أبيهِ وللحِمـ ... ـلانِ بالشاةِ أسوةٌ واهتداء

يسألُ الرّملَ عن وجوم أبيهِ ... فاذا الرّمل منصتٌ والفضاء